-الإرسال الثاني: الأسس التاريخية للتربية (2)

3-التربية المسيحية في العصور الوسطى:

-الديانة المسيحية وأثرها على التربية:

إن تعاليم المسيح المشحونة بالأخلاقيات وخاصة المساواة بين الناس في عصر سادت فيه طبقية مقيتة حيث فتحت أبواب التعليم أمام كل الأطفال بغض النظر عن انتمائهم وجنسهم ومستواهم الاجتماعي، ولقد أعطت المسيحية مفاهيم جديدة للعدالة الاجتماعية كنبذ الطبقية، وحاولت إصلاح المجتمع الوثني والاستدراك عليه فحرمت وأد الأطفال وهاجمت بشدة اِحتفالات المصارعة الدموية التي طبعت المجتمع الروماني، وأكدت على أهمية التسامح والتضحية.

لقد قوبل الدين المسيحي الجديد في بداية الأمر بمعارضة شديدة من قبل الحكام واضطهاد لمعتنقيه، وبقي الحال كذلك حتى مطلع القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطين حيث أصدر قراراته التي أصبحت المسيحية بموجبها من الأديان المعترف بها داخل الإمبراطورية، وبدأت الثقافة الوثنية في التدهور والانحلال، وأصبحت الثقافة المسيحية هي السائدة، وبقيت الكنيسة قرونا طويلة هي المؤسسة الوحيدة التي تقود المجتمع وتسيره، ولقد عرفت المسيحية أنواعا مختلفة من المدارس:

أ .مدارس تعليم المبادئ المسيحية : وكانت تتخذ الكنائس مقرا لها، وكانت تستقبل أبناء المسيحيين والراشدين من اليهود والوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية، وكان التهذيب بهذه المدارس تهذيبا عقليا وخلقيا مع اهتمام واضح بالموسيقى.

ب .مدارس الحوار الديني : وهي مدارس أرقى من المدارس السابقة، وكان لابد للقساوسة المسيحية وزعماء الكنيسة من الإلمام بتاج العقل اليوناني حتى يستطيعوا النقاش مع مدارس الفكر اليونانية، ثم أنشئت مدارس الكاتدرائية متبعة نظام المدارس الحوارية، وتطورت واتسعت وتوطدت مكانتها خاصة بعد إعلان المسيحية دينا رسميا لروما.

ولكن كان بعض رجال الكنيسة في العصور المسيحية الأولى من المتعاطفين مع الآداب الوثنية التي كانت سائدة قبل مجيء المسيحية، نظرًا لدراستهم، إلا أنها ما لبثت أن تدهورت دون أن تنشئ الكنيسة غيرها، مما أدى إلى انتشار الجهل، وضعف الفكر عامة والتربوي خاصة، وقد بدأ ذلك في القرن الرابع الميلادي، وذلك لكثرة الحروب المستمرة، والتي لم تترك مجالا للشؤون الثقافية والتربوية، ولطبيعة الديانة المسيحية الصوفية في بدايتها، ولحرمانها الناس من تذوق الثقافة والفكر، وفقدان اللغات القديمة، وندرة الكتب الدراسية . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن انزوى الفكر في بعض الأديرة وعمّ الظلام في العصور الوسطى، ولكن على الرغم من ذلك لم يَخلُ الأمر من نزعات وحركات علمية مهدت لقيام النهضة الأوروبية الكبرى.

نهضة شارلمان(771-814م) أو حركة إحياء العلوم الأولى:

يعد شارلمان أول من بعث الحركة المدرسية وأنعش الوضع الفكري والخلقي للشعوب التي كان يحكمها، فقد أنشأ المدارس، واستعان بأساتذة من إيطاليا وانجلترا لعدم وجود مثقفين في ذلك الوقت بين الفرنجة، ومن أشهرهم بطرس دوبيز، والكوين الذي كان ساعد شارلمان الأيمن، والذي يمكن اعتباره أول وزير معارف عرفته فرنسا . فقد أسس مدرسة

القصر التي تعلم فيها شارلمان وأبناؤه وبناته وغيرها من المدارس الأخرى . وكانت طريقة التدريس تقوم على الطريقة الحوارية، أمّا النظام فيها فكان قاسيا وشديدا. حيث كان المدرسون يلجئون إلى استعمال الضرب، وهذه النهضة التي أنشأها شارلمان انتهت بعد موته، فأغلقت المدارس واستعاض عنها أتباعها ببناء القلاع والحصون، وأبرز أتباعه هو جيربير دورياك الذي درس الثقافة العربية لمدة ثلاث سنوات في إسبانيا ثم ترقى في السلك الكنسي حتى أصبح بابا باسم سلف ستر الثاني1003 م.

-النهضة الثانية أو الحركة المدرسية:

يطلق هذا الاسم على الحركة الفكرية التي سادت أوائل القرن الحادي عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر ودعيت بالفلسفة المدرسية، ولهذه الحركة غايتان:

الأولى : عامة وتتمثل في الدفاع عن الهجمات العنيفة ضد العقيدة المسيحية عن طريق العقل والمنطق الصوري.

الثانية : تهذيبية تهدف إلى تنمية قوة المناقشة والجدل، وتنسيق المعلومات والمعارف بشكل علمي منطقي.

وقد ساهمت الحركة المدرسية في إنشاء الجامعات، ويمكن القول أن المدرسية لا تتميز بأي مبادئ أو اعتقادات بل هي في الواقع منهاج أو نوع من الفاعلية العقلية، تهتم بتنظيم المعرفة بغية إعطائها شكلا علميا . والمعرفة عندها ذات طبيعة فلسفية، لذلك دافعت عن المنطق الصوري وتبنته. أما أهم المدارس في أوائل العصور الوسطى فكانت المدرسة التنصيرية التي أسست في الغرب لتعليم الديانة المسيحية لأتباعها . والمدرسة الاستوائية في الشرق . ثم مدارس الكهنة وغايتها إعداد رجال الدين للقيام بالمراسيم الدينية، ومدارس الأديرة أو الرهبان لتعليم الرهبان القراءة والكتابة للاطلاع على الكتاب المقدس.

وأهم خصائص التربية في هذه العصور أن التربية العليا كانت مقصورة على رجال الكنيسة وأبناء الطبقات العليا، وسيطرة الثقافة اللفظية، واستبعاد العقل في القياس، وسيطرة الكنيسة على الناس عقيدة وفكراً وعملا.

4-التربية الإسلامية:

-لمحة تاريخية:

وتمتد هذه الفترة ستة قرون من القرن السابع الميلادي عندما انتشر الإسلام في شبه جزيرة العرب وانتقل إلى إمبراطوريتي الفرس والروم، وحتى القرن الثالث عشر عندما سقطت بغداد على يد هولاكو المغولي عام 1257 م . وتقسم هذه الفترة إلى عدة أطوار لكل واحد منها خصائصه التربوية:

الطور الأول : من البعثة النبوية إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الطور الثاني : وهو طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر أول الخلفاء الراشدين، وقاربت نهايتها في عهد الأمويين.

الطور الثالث : وهو طور تكوين الحضارة العربية والامتزاج بين الشعوب والحضارات، ويبدأ بظهور العباسيين ويمتد حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي، وتدخل فيه حضارة الأندلس منذ القرن الثامن الميلادي.

الطور الرابع : والذي يبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بظهور المغول في القرن الثالث عشر، وسقوط بغداد على أيديهم.

-أهداف التربية الإسلامية:

لقد تنوعت وتعددت أهداف التربية في الأطوار المختلفة ولكن يمكن اختصارها فيما يلي:

أ .الهدف الديني : ويتمثل في دراسة العلوم الشرعية والتفقه في الدين الإسلامي والحصول على الثواب الأخروي، إذ يقسم العلماء العلوم من حيث حكم تعلمها إلى قسمين، علم يجب تعلمه على كل فرد مسلم بعينه كالتوحيد، والصلاة، والصيام ...وعلم يقتصر وجوب تعلمه على طائفة من أهل التخصص على وجه الكفاية.

ب .الهدف الدنيوي :وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعي العملي، أو الإعداد للحياة ومتطلباتها .ويركز على دراسة علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم التي يحتاجها المسلمون.

أما ملامح التربية الإسلامية عبر العصور فتتلخص فيما يلي:

- التربية الإسلامية مسؤولية فردية، فالفرد المسلم مطالب بتنمية نفسه بنفسه من مناهل العلم حسب إمكانياته وحسب توافر العلم في عصره.
- إنها تربية شاملة للجسد والروح والعقل، ومتدرجة مع الإنسان حسب مراحل نموه المختلفة، كما أنها متكاملة لا تقتصر على مكان ما وزمان معين بل تتم في كل زمان ومكان، وفي مختلف أماكن وجود الإنسان.
- تعتبر التربية الإسلامية تربية عملية تربط ما بين العلم والعمل، وما بين النظر والتطبيق.
- كل إنسان فيها معلم، فالكبير يعلم الصغير، والصغير يعلم الكبير، والمعلم قدوة لما يدعو إليه، يأمر بالبر والخير ويلتزم بهما.
- إنها تربية قوامها الحرية، وتقوم على الانفتاح على البيئة المحلية وعلى العالم أجمع، ورغم ذلك فإنها تقوم على الأصالة، ولكنها لا تأخذ من نظم التربية في العالم الخارجي إلا ما تحتاج إليه.
- تعطي دورا مهما للجماعة، التي توجه الأفراد والهيئات وترشدهم وتساعدهم، وتتمم النقص فيها يقومون به من جهود.

-مؤسسات ومعاهد التربية الإسلامية:

يعتبر عام 459 هـ حدا فاصلا فيما يتعلق بأماكن التعليم عند المسلمين، حيث افتتحت في بغداد أول مدرسة نظامية أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك . وقد تكاثرت هذه المدارس بعد ذلك . أما قبل ذلك فقد كانت حلقات التعليم تعقد في أماكن مختلفة كالمساجد ومنازل العلماء وحوانيت الوراقين، وسوف نقدم فكرة موجزة عنها:

الكتاتيب : وجدت قبل ظهور الإسلام، وإن كانت قليلة العدد، ويقال أن أول من تعلم الكتابة من أهل مكة هو سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وقد علمهما بشر بن عبد الملك الذي تعلم الكتابة من

أهل الحيرة .ثم أخذت القراءة والكتابة تنتشر بفضل تشجيع القرآن والكتابة، ويكون في منازل المعلمين . والكتّاب الخاص بتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي ويكون غالبا في المساجد . وقد اختلفت المناهج في الكتاتيب باختلاف البلدان الإسلامية، كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته .ومن أبرز المعلمين الذي لمعوا فيها : الضحّاك بن مزاحم (105ه) والكميت بن زيد (126ه) وعبد الحميد الكاتب (132ه).

القصور : وجد هذا النوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء ومنهاجه يوضع من قبل الأب أو يشارك في وضعه، والمعلم يسمى مؤدبا . وبعد ذلك ينتقل الطالب إلى حلقات المساجد أو المدارس وفي كثير من الأحيان كان المؤدب يعيش في القصور المخصصة للتعليم ليكون إشرافه على التربية أحكم وأشمل.

حوانيت الوراقين : ظهرت في أوائل الدولة العباسية، ثم انتشرت بأعداد كبيرة، وقد فتحت في الأصل لأغراض تجارية، ثم أصبحت مسرحا للثقافة والحوار العلمي ونسخ الكتب وعرضها للبيع، كما كانت مراكز لاجتماعات العلماء والطلاب.

منازل العلماء : وتعتبر منازل العلماء في نظر المسلمين أماكن غير صالحة للتعليم العام لافتقارها إلى الراحة والسكون، ولكن شدة الحاجة دعت إلى وجود حلقات دراسية منزلية وذلك قبل ظهور المساجد فقد اتخذ الرسول الكريم (دار الأرقم) مركزاً يلتقي فيه مع أصحابه يعلمهم مبادئ الدين الجديد . كما كان يجتمع في منزله مع أصحابه للحوار . ومن أهم المنازل العلمية منزل الرئيس ابن سينا والإمام الغزالي، وأبي سليمان السجستاني.

الصالونات الأدبية : كانت بسيطة في العصر الأموي، ولكنها ترقت وازدادت في العصر العباسي متأثرة بالتقاليد الأجنبية، وأصبحت ذات تقاليد مرعبة في دخولها أو مغادرتها أو في افتتاح مناقشاتها. وقد ارتبط تاريخها بتاريخ القصور وخاصة قصور الخلفاء .وقد تنوعت لتشمل الآداب والعلوم والفنون بأنواعها.

المسجد : يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطًا وثيقًا، حيث قامت فيه الحلقات العلمية واستمرت على السنين لشرح تعاليم الدين الجديد في أيام الإسلام الأولى، ثم توسع المسلمون فيما بعد في فهم مهمة المسجد، فأصبح مكانا مخصصا للعبادة، ومعهدًا للتعليم، وللقضاء وغير ذلك، وكان أول مسجد في الإسلام هو مسجد قباء، ثم تكاثرت المساجد بعد ذلك، ومن أشهرها في العالم الإسلامي: جامع المنصور، وجامع دمشق، وجامع عمرو بن العاص، والجامع الأزهر.

المكتبات : كانت المكتبات وسيلة القدماء في نشر العلم، ولعل أقدم الخزائن العربية هي خزانة الأموي الحكيم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . وقد ظلت محفوظة في البلاط الأموي حتى ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ففتحها للناس، وتقسم المكتبات في العالم العربي الإسلامي إلى:

- المكتبات العامة :التي أنشئت بالمساجد والمدارس لتكون في متناول الدارسين، ومن أشهرها بيت الحكمة في بغداد، ومكتبة الحي درية في النجف، ومكتبة ابن سوار بالبصرة.
- المكتبة الخاصة : التي أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، ومن أشهرها مكتبة الفتح بن خاقان، مكتبة حنين بن اسحق، و مكتبة ابن الخشاب....الخ.
- المكتبات بين العامة والخاصة : وهي التي أنشأها الخلفاء والملوك بهدف العلم، وجعلوا دخولها مباحًا لطبقة معينة فقط.

الخوانق والزوايا والربط والبيمارستانات : وهي أماكن للتعليم كان يقام بعضها داخل المدن وبعضها يقام على حدود الدولة (كالربط) أو في الصحراء (كالزوايا) أما البيمارستانات فهي عبارة عن مستشفيات لعلاج المرضى، وأول من عمل بها في الإسلام الوليد بن عبد الملك سنة 88 هـ، وكانت أماكن يطبق فيها الطلاب علومهم النظرية على المرضى . وكلمة بيمارستان فارسية الأصل تعني المستشفى، أي :مكان المرضى.

المدارس : اشتدت الحاجة للمدارس وذلك لازدحام المساجد بحلقات المعلمين والصبيان، مما كان يشوش على المصلين من ناحية، ثم نتيجة تطور العلوم وتقدمها من ناحية أخرى، وكانت أولى المدارس المدرسة (البيهقية) بمدينة نيسابور في القرن الرابع الهجري . وفي القرن الخامس الهجري أنشئت المدارس النظامية على يد الوزير السلجوقي نظام الملك لنشر المذهب السني، وقد بدأت نظامية بغداد عام 459 هـ . وبعد ذلك تأسست المدارس النورية التي أسسها نور الدين زنكي . ثم كثرت المدارس في عهد الأيوبيين والمماليك.

-طرق ومناهج التعليم في التربية الإسلامية:

لقد عني المربون المسلمون بطرائق التعليم باعتبارها من أهم العناصر التي تتكون منها العملية التعليمية التربوية، فحسن اختيار الطرق والأساليب التعليمية يتوقف عليه بشكل كبير نجاح العملية وتحصيل المتعلمين، وسنتعرض إليه بإيجاز حسب ما يقتضيه المقام.

لقد فرق المسلمون بين تربية الصغار والكبار، وأقاموا وزنا كبيرًا للصلة بين محتوى الدراسة وعمر الطالب . أما سن التحاق التلميذ بالدراسة فلم تكن محددة، بل كان الآباء أحرارا في ذلك على أن الكثير من المربين المسلمين نصحوا بالتكبير في طلب العلم لفائدته الكبيرة في مختلف المجالات.

كما أعطوا عناية بتربية الجسم ليساعد العقل على التعلم والتعليم، وحذروا من إرهاق الجسم بمواصلة التعليم دون فترات من الراحة لتجديد النشاط، وسمحوا للطلاب بالإجازات الأسبوعية وإجازات العيدين من أجل الراحة.

أما طريقة التعليم، فكانت معتمدة على التلقين والحفظ ولاسيما القرآن الكريم .كما أدرك العلماء المسلمون أهمية التدرج في التعليم، وعدم الخلط بين علمين في آن واحد، وكانت طريقتهم فردية، أي أن يهتم المدرس بكل طالب على حدة لا بالطلاب جملة، وتميزت طريقة التعليم العالي بالنقاش والأسئلة بين الطلاب وأساتذتهم بعد المحاضرة، بالإضافة إلى أخذ الفروق الفردية بعين الاعتبار.

وفيما يتعلق بالعقاب والثواب فقد اهتم المربون المسلمون في جميع العصور بأمر عقوبة الطفل، فقد أكدوا على أن تبدأ بالإنذار، فالتوبيخ، فالتشهير، فالضرب الخفيف . وأباح آخرون الضرب الشديد عند تجاوز الطفل حدودا معينة، والعقوبة نوعان :روحية وبدنية، ولا يتم إيقاع العقوبة إلا بشروط محددة .أما الثواب فهو أيضا نوعان : مادي كتقديم الجوائز والمكافآت، ومعنوي كالمدح والاستحسان.

وتنقسم مراحل التعليم اليوم في معظم بلاد العالم إلى ابتدائية وثانوية وجامعية، والأبحاث والدراسات العليا . إلا أن المسلمين عرفوا في الواقع ما يشبه هذه المراحل . فقد وجد التعليم الابتدائي في الكتاتيب .كما وجد في حوانيت الوراقين والصالونات ومنازل العلماء يشبه التعليم الجماعي اليوم .أما المساجد فقد وجدت فيها المرحلتان الثانية والثالثة (أي

الثانوية والجامعية) وعرف المسلمون أيضا المرحلة الرابعة (أي الأبحث والدّراسات العليا)، وما يؤكد ذلك ما كان يجري في بيت الحكمة، وفي بيت بني شاكر من أبحاث.

وأما المناهج والموضوعات الدراسية، فقد تنوعت المناهج في المرحلة الابتدائية واختلفت باختلاف الدول الإسلامية فهي لم تقتصر على العلوم والمهارات الجسمية، بل ركزت أيضًا على التربية الخلقية واكتساب العادات الحميدة، وتعددت المناهج في المرحلتين الثانوية والعالية، فلم يقيد الطالب بموضوعات معينة.

ولقد سايرت المناهج الدينية و الأدبية نمو الفكر الإسلامي وتطوره واطلاعه على الفكر الفارسي واليوناني والهندي، ويصنفها الخوارزمي إلى علوم طبيعية بفروعها المختلفة، والعلوم الرياضية بفروعها والمنطق والفلسفة.

أما الأسس التي بنيت عليها المناهج الإسلامية فقد اعتمدت على إعطاء أهمية لقيمة المادة من الوجهة الدينية، وقيمتها من حيث الأثر التدريبي والقيمة التثقيفية، والنفعية المهنية، وأخيرا قيمتها كأداة لدراسة علوم أعظم شأنا.

ولقد أنتجت التربية الإسلامية عددًا كبيرًا من المربين من أبرزهم الغزالي وابن خلدون وابن سينا، والقابسي، وابن سحنون وابن مسكويه والزرنوجي وغيرهم.

5-التربية في العصور الحديثة:

5-1 -التربية في عصر النهضة والإصلاح الديني:

يطلق عصر النهضة على الفترة الزمنية في أوروبا بين القرن الرابع عشر والسادس عشر، فلقد أمضى الإنسان الأوروبي في هذه الفترة ما يقارب ثلاثة قرون محاولا التخلص مما كسا عقله وصبغ تفكيره خلال العصور الوسطى، وشهدت الفترة بين القرن الرابع عشر والسادس عشر حركات جريئة تحدى فيها العقل جميع القيود المفروضة عليه، وتعتبر هذه القرون مرحلة انتقال بين تربية العصور الوسطى وتربية العصور الحديثة، بل إنها الفترة التي بذرت فيها بذور التربية الحديثة.

وتميزت النهضة التي حدثت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بأنها كانت شاملة لجميع ميادين الحياة، بثت روحا جديدة في العلم والفكر والفن والاجتماع والحضارة، وفي نواحي التربية والتعليم النظرية والعلمية . فلقد اهتمت بتنمية الفردية وتمجيد الإنسان أكثر من الاهتمام بما وراء الطبيعة.

واعتمدت أساليب فكرية وتهذيبية مرنة بعكس الأساليب الجامدة التي كانت سائدة في العصور الوسطى .لقد حاربت الجمود وشجعت الابتكار وكانت بحق تربية إنسانية، تهتم بتربية الإنسان جسميا وعقليا ونفسيا وتهتم بالعقل وتخفيف القيود التي كانت مفروضة عليه .

ومن أشهر المربيين الايطاليين في عصر النهضة: (بترارك) في القرن السابع عشر الذي شجع مطالعة الآداب العالمية القديمة، ورفض التربية الجامدة .ثم فتورينو دافلتر (1378-1446) الذي يعد أشهر المربين في عصر النهضة، وتقديرا لفضله سمي بالمدرس العصري الأول . ثم الانكليزي روجر اسكام (1515-1568م) وهو أول من كتب في التربية باللغة القومية، وقد جمع في حياته بين السياسة والعلم، وكان يعارض استعمال العقوبات البدنية، كما اشتهر بطريقته في الترجمة

المزدوجة، أي أن يترجم الطالب البحث من اللاتينية إلى الانكليزية ثم يطلب منه أن يترجم ما كتبه بالانكليزية ثانية إلى اللاتينية، وحض على تعلم الآداب القديمة كغيره من أصحاب النزعة الإنسانية.

ومن أشهر المربين الإنسانيين الألماني إراسموس Erasmus (1467-1535)، حيث علم الآداب القديمة في بعض جامعات أوروبا، وكان له ولع عظيم بجمع الكتب والمخطوطات رغم فقر حاله. وقد قال يوما ما معناه : إذا حصلت على مال فأول ما أفعله هو شراء الكتب اليونانية وبعدها أشتري بعض الملابس الضرورية.

وأما أهم آرائه التربوية فهي اعتبار الأم المربية الطبيعية للطفل وأن لا يطلب من الطفل قبل سن السابعة غير اللعب واكتساب الآداب والأخلاق وبعد ذلك يجب أن يدرس اليونانية واللاتينية معًا مع التركيز على النحو، وعدم إهمال التربية الدينية، والاهتمام بالتربية الأسرية، دون تفريق بين البنات والأولاد، واستبعاد الطرق القاسية في التربية، واستبدالها بالتشويق والإغراء.

2-5 -التربية في القرن السابع عشر:

عرف القرن السابع عشر عددا من المربيين والمفكرين الذين نقلوا إلينا خلاصة أفكارهم وزبدة تجاربهم، وكان أكثرهم من رجال الدين الذين كانوا يتعهدون تربية بعض الأمراء، وبعضهم من الفلاسفة الذين قادتهم دراستهم للطبيعة البشرية إلى التفكير في مبادئ التربية.

وسنتحدث عن بعض المذاهب الأساسية وبعض المناهج وطرق التدريس البارزة في هذا العصر التي مهدت للإصلاحات التربوية اللاحقة.

-التربية الواقعية:

كانت التربية الواقعية من أهم نتائج الثورة الفكرية التي ولدها عصر النهضة، والتي يعتبرها مؤرخو التربية أساسًا للحركة العلمية الحديثة.

وتهتم هذه التربية بالبحث عن الحقيقة وعن مظاهر الحياة الواقعية والطبيعية، وجعل الأساليب التهذيبية متلائمة مع البيئة والعصر، لا كما كانت عند اليونان والرومان .وبأن هذه الحركة الجديدة وليدة عصر النهضة والتربية الإنسانية، فقد كانت جامعة بين القديم والجديد في بدء انتشارها، وجديدة عالمية في أدوارها الأخيرة .وعلى هذا الأساس تنقسم التربية الواقعية إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة : التربية الواقعية الإنسانية والتربية الواقعية الاجتماعية، والتربية الواقعية الحسية.

-التربية الترويضية الحديثة:

يعتبر الفيلسوف الانجليزي جون لوك (1632-1704م) واضع النظرية الترويضية في التربية والتعليم، ويرى أن العقل الرائد الأكبر، كما أن حب الحقيقة هدفه الأسمى، ولا يمكن الوصول إلى هذه الحقيقة إلا بالعقل، ولا يصل إلى فهم الحقيقة إلا إذا درب تدريبا قاسيا . وقد حمل على العقوبات الجسدية، أما نهج الدراسات لديه فهو المنهج الذي يتكون من الدراسات النافعة مثل :القراءة والكتابة والرسم (لفائدته العلمية) واللغة القومية وإحدى اللغات الحية، وينصح بتعلم الفرنسية

فاللاتينية، والجغرافيا والحساب والفلك والهندسة والتاريخ (أجمل الدراسات وأنفعها)، والأخلاق والحقوق والتشريع السائد، وأخيرا العلوم الطبيعية، ثم مهنة يدوية تكون تاجا لتلك المعارف ويستخدمها للراحة والاستجمام.

3-5 -التربية في القرن الثامن عشر:

نصل في قراءتنا للفكر التربوي عبر التاريخ إلى القرن الثامن عشر حيث كان الظلم في فرنسا مسيطرا في السياسة والفكر والدين والعمل، وكان الناس بانتظار قيام قادة حقيقيين لتحطيم هذه القيود. فقامت ثورتان: ثورة فكرية ترمي إلى كسر القيود على الفكر وتعرف"بعصر التنوير"، وثورة متممة للأولى وهي النزعة الطبيعية التي قامت مطالبة بحقوق الجماهير.

-وحركة التنوير تعلي من شأن العقل وتوظفه في شؤون الحياة، وقائدها فولتير (1694-1778م)، أما الحركة الطبيعية فتعتبر العواطف وأهواء النفس الأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه التربية والاجتماع، وقائدها جان جاك روسو (1712-1778م).

وتتفق هاتان الحركتان في وجوه كثيرة إلا أنهما تختلفان من بعض الوجوه الأخرى، وأهم وجوه اختلافهم:

1/ انتقدت حركة التنوير الكنيسة والعقائد الدينية، أما الثانية فقد وجهت نقدها للحياة السياسية والاجتماعية ودعت إلى إقامة نظام مثالي للحياة.

2/ مجّدت حركة التنوير العقل والثقة به، أما الحركة الطبيعية فقد مجدت العواطف القبلية والوجدان مدعية أن العقل الإنساني كثير الزلل.

3/ حركة التنوير أرستقراطية تعمل على نقل السيطرة من رجال الكنيسة إلى رجال العلم والذكاء، أما الحركة الطبيعية فهي ديمقراطية تعمل على إسعاد العامة وإصلاح شؤونهم.

4/ كان فولتير زعيم حركة التنوير من الطبقة الارستقراطية، بينما روسو فهو زعيم الحركة الطبيعية من عامة الشعب.

5/ كان فولتير ملحدا، أما روسو فقد أبى الإلحاد غير أنه رفض معتقدات الكنيسة القديمة واتخذ له دينا سماه الدين الطبيعي.

6/ كلاهما ركز على الطفل باعتباره أساس المستقبل.

والنزعة الطبيعية لم يكن لها أثر سريع في المدارس الأوروبية، وغاية ما قامت به هو توجيه أفكار المربين لاحقا إلى ضرورة مراعاة ميول الطفل واحترام طبيعته . ففي فرنسا لاقت إقبالا عظيما من عامة الشعب، أما الأشراف ورجال الدين فقد قاوموها، وحكموا على روسو بالسجن، ففر هاربًا.

أما الصفات العامة للتربية في هذا القرن فهي:

1/ تغلب الروح العلمانية على روح الكنيسة، وتمثل ذلك بطرد اليسوعيين من ميدان التربية والتعليم في فرنسا وقيام الثورة الفرنسية.

2/ تميزت بالنزعة النقدية الإصلاحية، فقد كان عصر لويس الرابع عشر عصر الراضين، أما عصر فولتير وروسو فكان عصر الناقمين.

3/ ظهور الروح الفلسفية التي تربط النظريات التربوية بقوانين الفكر الإنساني.

4/ النزوع نحو الناحية القومية بالإضافة إلى الجانب الإنساني، وحلول الاستعداد للحياة محل الاستعداد للموت، وبذلك نضجت فكرة التربية الشعبية العامة القومية.

5/ صارت التربية إنسانية باهتمامها بحاجات الإنسان المتعلم أكثر من اهتمامها بالمادة العلمية.

5-4-التربية في القرن التاسع عشر:

في بداية هذا القرن تولى نابليون بونابرت (1769-1861م) السلطة في فرنسا وكان له تأثير كبير على فرنسا خاصة وأوروبا عامة. فكان نابليون يؤمن أن مسألة التعليم هي من أهم المسائل السياسية أيضا، حيث لن تكون هناك دولة سياسية قوية وذات استقرار متين، ما لم تكن لديها مؤسسات تربوية تدرس فيها المبادئ المقررة منذ الصغر لتعزيز التجسيد الحقيقي للأمة، فقرر عام 1806م إنشاء الجامعة الإمبراطورية التي لم تكن جامعة أكاديمية، وإنما وزارة مركزية للتربية تشرف على إدارة التعليم في فرنسا، فنشأ نظام التعليم المدني الحديث مستقلا عن المدارس الكاثوليكية، ومنذ ذلك التاريخ صار نظامان فرنسيان للتعليم أحدهما مدني تشرف عليه الدولة، والآخر ديني تشرف عليه الكنيسة ومستقل عن سلطة الدولة.

لقد أصبحت القضايا التربوية من القضايا الحياتية، وركز في المناهج على حاجات واهتمامات المتعلمين، وهذا كان تتمة للنزعة الواقعية بأقسامها الثلاثة.

لقد بوشر بوضع التطبيقات التربوية انطلاقا من الأسس العلمية، أي أن التربية العملية (Practical Education) أصبحت هي الأساس، بالإضافة إلى الاعتماد على المشاهدة والتجربة التي بدأت بوادرها في الظهور قبل هذا القرن، ولكنها تعمقت ونمت وأصبحت جزءا من آليات المجتمع، وازداد في هذا القرن الاهتمام بالأسس النفسية للعملية التعليمية والتركيز في المناهج بصورة واضحة على التربية القومية.

وقد كانت النزعة السيكولوجية – كالنزعتين العلمية والاجتماعية-وليدة نزعة روسو الطبيعية، أما خواصها فكانت متشابهة مع الحركتين العلمية والاجتماعية اللتين سادتا في هذا القرن، وقد تميزت النزعة السيكولوجية بما يلي:

- تطبيق مبادئ روسو الطبيعية في أصول التدريس، عن طريق تنمية القوى والقدرات والطاقات الكامنة في الإنسان، وليس بحشو المعلومات في عقول الأطفال، وهو ما يؤكد أهمية الأخذ بعين الاعتبار حاجات الأطفال وميولهم وقدراتهم عند تربيتهم.
- الاهتمام بالتربية الابتدائية باعتبارها القاعدة الأساسية في التربية والتعليم وحقا طبيعيا يجب أن يتمتع به جميع الأفراد.
- التركيز على عملية إصلاح الشؤون بشكل منتظم ومتناسق.

- الاهتمام بدراسة العقل البشري وطرق التفكير على أسس علمية، وجعل هذه الدراسة منطلقا للتربية الحديثة، ويعتبر بستالوزي وهربارت وفروبل قادة للنزعة السيكولوجية العلمية.

أما النزعة العلمية الحديثة فقد كانت بذورها مأخوذة عن التربية الواقعية، فلو تتبعنا نشوء الحركة العلمية في عصر بيكون إلى أوائل القرن التاسع، لوجدنا أن هناك عدة عوامل أثرت على تطورها متمثلة في النزعة الطبيعية التي قدرت أهمية دراسة الطبيعة، والنزعة السيكولوجية، والعلوم البيولوجية والطبيعية إلى أن جاء القرن التاسع عشر وهو عصر العلوم، ومن مميزات النزعة العلمية الحديثة التي كان من أشهر قادتها سبنسر ي (1860-1903) مايلي:

أولا : الاهتمام بمادة الدرس ودراسة المشاهد والمظاهر الطبيعية.

ثانيا : الاعتراف بقيمة الطريقة الاستقرائية في دراسة الطبيعية.

كما أن الناس في هذا القرن بدأوا يشعرون بأهمية إدخال اللغات العصرية الحية إلى المناهج، لما لها من علاقة بحياة الإنسان العلمية، وأخذوا يقدّرون أهمية العلوم الطبيعية بسبب الاكتشافات والاختراعات وتطبيقها في الحياة العملية، فتغير شكل الثقافة التي تقتضيها الحياة العصرية الحاضرة. وللنزعة العلمية الحديثة الفضل الأكبر في إدخال العلوم الأولية في المناهج الأولية والثانوية والعالية، وقيام علم النفس على أساس عملية حديثة.

واختلفت النزعة الاجتماعية التي تطورت في هذا القرن عن النزعة النفسية، التي ركزت على حياة الطفل النفسية وطرق التدريس وأصوله، وعلى التربية المهمة في نمو الفرد التدريجي، فقد ركز علماء الاجتماع على تنمية المجتمع، وقالوا إن غاية التربية تنحصر في تهيئة الفرد للنجاح في الحياة الاجتماعية باعتباره عضوا فيها، ولهذه النزعة ميزتان هما:

1/ الاعتناء بجعل مادة الدرس ملائمة لكل طور من أطوار التربية، أي من حديقة الأطفال إلى الدراسة العالية في الجامعات.

2/ إعادة النظر في المناهج لتصبح قادرة على تلبية المطالب الاجتماعية، وإهمال التراث اللغوي والأدبي في المناهج.

5-5-التربية في القرن العشرين:

تميز هذا القرن بعدد من الملامح التي عبرت عن نفسها بانتشار الحرية بين الشعوب، وظهور مبادئ الديمقراطية في العدالة والمساواة في حقوق الأفراد، ثم الثورة العلمية التكنولوجية التي أدت إلى تطبيق العلوم والمعارف الإنسانية المختلفة في ميادين الحياة . وكذلك ظهور مفاهيم التربية الحديثة، وما استندت إليه من مبادئ تربوية مهمة ساهمت في ازدياد رفاه الإنسان وسعادته.

مبادئ التربية الحديثة : إنَّ أهم المبادئ الأساسية للتربية الحديثة هي:

1/تقدم التربية على التعليم : لقد أولت التربية القديمة عناية خاصة لكسب المعرفة، فجعلت اهتمامها الأول تقديم المعلومات للمتعلمين، إلا أن التربية الحديثة تعتبر أن التعليم جزء من التربية العامة، وأن هدف المدرسة هو التربية ،أي تكوين الطفل تكوينا متكاملا بحيث لا يغدو فقط أكثر علما ومعرفة، بل أكثر نضجا ونموا وتفتحا، وأقدر على التفكير والمحاكمة، وأكثر امتلاكا لوسائل التعليم وأدواته من خزن المعلومات الجديدة التي لا تلبث أن تنسى، مع أهمية معرفة

أساسيات المعرفة، وهكذا أكدّت التربية الحديثة على أن المعرفة وحدها لا تحقق النجاح لأنها لا تحقق لصاحبها روح المبادرة والإبداع ولا تزوده بحس التنظيم وروح القيادة.

2/استناد التربية إلى علم النفس : لا أحد ينكر استناد التربية القديمة إلى علم النفس، لكنها استندت إلى علم النفس القديم الذي كان معروفا في ذلك الوقت، والذي كان علما نفسيا يركز على الملكات العقلية بالدرجة الأولى، مما أدى إلى إهمال النوابض العاطفية التي تسير حياة البشر، وإهمال أثر البيئة المحيطة على الطفل، بينما أكد علم النفس الحديث الدور الأساسي الذي يلعبه الاهتمام والميل والفروق في حياة الإنسان، وانعكس هذا على التربية الحديثة فغدت اهتمامات الطفل وميوله والفروق الفردية عند البشر محورها ورائدها، وانطلقت من دوافع الإنسان وحاجاته.

كما أن علم النفس التقليدي عامل الصغير والكبير بأسلوب واحد، وزعم أن الطفل الصغير يسلك مسلك الراشد، وانعكس هذا على التربية التقليدية التي عاملت الصغار بمنطق الكبار، بل قست على الصغار أكثر من قسوتها على الكبار.

3/الطفل محور التربية: أكّدت التربية الحديثة على أهمية الانطلاق من الطفل نفسه، من قابليته وميوله وطباعه ومقومات شخصيته، فهو المركز الفعلي للعملية التربوية، بعكس التربية التقليدية التي جعلت مركز الثقل في العملية التربوية ليس الطفل نفسه بل المناهج والمعلم والامتحانات والنظام المدرسي، فأصبحت هذه كلها غاية التربية بدلاً من الغاية المركزية وهي تكوين شخصية الطفل.

4/الاستقلالية : لقد امتازت التربية التقليدية في أنها تقوم على مبدأ السلطة، فالطفل متلق وعليه قبول ما يصدر عن المعلم دون إبداء رأيه في ما يتعلمه، ولكن التربية الحديثة تقوم على مبدأ الحرية، والاستقلال في التفكير، والنقد من خلال الحوار، فالمعلم والمتعلم عبارة عن حدين متكاملين، وقد نادى بالاستقلالية الذاتية معظم رواد التربية الحديثة وعلى رأسهم جون ديوي في كتابه (الخبرة والتربية)، ويجب علينا أن لا نخلط بين الاستقلالية والفوضى، فالاستقلالية لا تعني التمرد على القوانين والقواعد، يقول فيريير :إن إدخال الاستقلال إلى المدرسة يحرر الطالب من وصاية الراشد الشخصية ليضعه تحت وصاية ضميره الخلقي، ويؤكد الكثير من المربين على أن الحرية هي الخضوع للقانون، فالقانون نظام عقلي فلا استقلال في سلوك لا يسيره العقل.

5/تربية فردية وسط روح جماعية : تتضمن التربية الحديثة مطلبين يَبْدُوَانْ لأول وهلة وكأنهما متعارضان، فترى أن تكون التربية فردية تتيح للفرد تحقيق كل إمكانياته التي تميزه عن سواه، فنجد المدارس الحديثة تتيح للفرد الحرية في اختيار النشاط الذي يناسبه واختيار مواد الدراسة التي سوف يتعلمها، وما وظيفة المدرس إلا التوجيه والإرشاد فقط، ورغم ذلك فإن المدارس الحديثة تسعى لتنمية الروح الجماعية بين الطلاب لمحاربة الأنانية، فتشجعهم على العمل التعاوني المدرسي بمختلف مجالاته.

-طرق ومناهج التربية الحديثة:

إن طرق ومناهج التربية الحديثة كثيرة ومتنوعة ومنتشرة في مختلف بلاد العالم، فمنها طريقة منتسوري، ومراكز الاهتمام، وطريقة دالتون، وطريقة المشروع، ومدارس العمل، ولا يتسع المجال لشرحها هنا ولكن سوف نركز على أبرز هذه الطرق وهي طريقة المشروع في مرحلة المراهقة، وإلى فروبل الذي أوضح في كتابه (تربية الإنسان) أهمية النشاط الذاتي

للمتعلم، وكيفية الاستفادة من الهدايا. وإلى بستالوزي الذي بين أهمية تعليم الأشياء قبل الأقوال، وقد استعمل هذه الطريقة الكثير من المربين، إلا أن هذه الطريقة تظل وثيقة الارتباط بكلباتريك.

لقد عرف كلباتريك المشروع بأنه الفعالية الهادفة المطبقة في مجال اجتماعي ضمن نطاق المدرسة، وفي عام 1921 م نقّح التعريف فأصبح عنده" أي وحدة أو فعالية أو تجربة ذات دوافع داخلية موجهة نحو هدف معين ."وتستهدف هذه الطريقة أمرين أساسيين:

الأول : تقديم محتوى مشخص حي للتعليم بدلا من المحتوى اللفظي.

الثاني : إتباع المجرى الطبيعي لاكتساب المعرفة بدلا من التعليم التلقيني.

أما الأسس النفسية لهذه الطريقة فهي:

أ .مبدأ الاهتمام بطبيعة المتعلم واعتبارها المحور الرئيس.

ب .مبدأ النشاط الذاتي، والتعليم عن طريق العمل.

ج .مبدأ الحرية في التعلم.

أما الأسس الاجتماعية لهذه الطريقة، فتنطلق من اعتبار أن المدرسة مؤسسة اجتماعية، والنظر إليها على أنها صورة للحياة الاجتماعية، وأنها هي الحياة نفسها.

وطريقة المشروعات تقسم قسمين رئيسيين هما:

المشروعات الفردية : وهي نوعان :فإما أن يعطي مشروع واحد لجميع الطلبة في الصف، وإما أن تكون هنالك مشروعات مختلفة توزع على طلاب الصف ويكون لكل طالب مشروع معين.

المشروعات الجماعية : وفيها يعمل الطلاب معا في مشروع واحد .

ومن أشهر المربين في القرن العشرين جون ديوي ووليام كلبا تريك، وجورج كاونتس، وبويد بود، وجون تشايلدز،و"هاور لدرج "و"كارلتون واشبورن". ومن أهم أفكار جون ديوي التربوية إيمانه بأن التربية هي الحياة وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلم وعملية بناء وتجديد، وعملية اجتماعية فالهدف الأعلى للتربية عنده هو تحقيق استمرارها، أو بعبارة أوضح إن هدف التربية هو أن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته وبالتالي نموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته، فينبغي أن لا يكون للتربية أهداف مفروضة عليها من الخارج، وفيما يتعلق بمناهج الدراسة ينتقد ديوي بشدة المفهوم التقليدي للمنهج الذي يقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وترتيبه ترتيبا منطقيا. فليس المركز الحقيقي للمنهج في نظره هو المواد منفصلة عن بعضها البعض، بل مركزه الحقيقي هو نشاطات الطفل الذاتية وخبراته.